عقيدة البعث

بين القرآن والتوراة وفكر العلماء

إعـــــداد

الأستاذ الدكتور/محمد علي حجازي

الثقافة والتنمية | العدد الثاني عشر | يناير ٢٠٠٥م

عقيدة البعث

بين القرآن والتوراة وفكر العلماء

أ.د/محمد علي حجازي

مقدمة:

إن قضـــية الإيمـــان بالبعث هي اخطر قضية تلي قضية الإيمان بالله الواحد مباشرة وصحيح أن الإيمان بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله والقدر كل لا يتجزأ.. لكنه صحيح أيضا أن قضية الإيمان بالله الواحد هي أصعب ما واجه الأنبـــياء تحقيقه في عقول المنكرين ووجدانهم.. ثم كانت أصعب قضية بعد ذلك هي قضية الإيمان باليوم الآخر.

ولـــذلك كان التركيز علي هذه القضية تركيزا قويا من كل النبيين والمرسلين حتـــى إذا انتهينا من الوحي الخاتم .. إلي الكلمة الأخيرة والجامعة لوحي السماء إلـــي القـــرآن المجيد وجدنا قضية الإيمان باليوم الآخر ،والبعث والجزاء قلّ أن تخلـــو منها سورة بل إن من سور القرآن ما ليس له موضوع سوي الحديث عن هذا اليوم الموعود.

ولقـــد كـــان يغلـــب علي الوحي المكي أنه يفيض بمشاهد القيامة وأهوالها ،وأخطارهـــا في مواجهة التمرد و العصيان والعناد والإغراق في الكفر وظلمه وظلامـــه والتربص بالمؤمنين والقعود لهم في كل مرصد. وشن الحروب عليهم بكل وسيلة ،وبغير سبب إلا أن يقوا ربنا الله لهذا السبب كان نزول القرآن يحمل لهم النذر والوعيد الشديد ويكشف عما يخبئه المستقبل يوم يلقون ربهم من ألوان العـــذاب وشـــدائده وأهـــواله ..وكان نزول القرآن بذلك يمثل سوط عذاب يلهب ظهـــور الكفار .. وحميما متجددا يصب من فوق رؤوسهم كفاء عنادهم الذي لا حـــد له وعدوانهم الذي ليس له نهاية.. ولما استقر الإيمان وقامت دولة الإسلام أخذ الإيمان باليوم الآخر موقعه المتناسب في قضية الإيمان وهو لزومه للإيمان

بـــالله (ﷻ) فإذا تحدث عن المؤمنين فهم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ،وإذا تحـــدث عن الكافرين فهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .. وإذا تحدث عن المنافقين فهم الذين يزعمون أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر[1].

وهـــذه هي الشواهد في آيات كلها مدنية فعن المؤمنين يقول تعالي: ﴿ لَيْسَ الْبِـــرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[2]، ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِـــنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾[3]، ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْـــرَاتِ وَأُولَـــئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[4]، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[5].

وعـــن الكافـــرين يقول تعالي: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[6].

---

(1) دراسات قرآنية، سيد قطب، ص ٦٣.

(2) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(3) سورة البقرة، الآية ٢٣٢.

(4) سورة آل عمران، الآية ١١٤.

(5) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(6) سورة التوبة، الآية ٢٩.

وعـن المنافقين : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُـمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)، ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً ﴾ (٢)

ومعني استمرار الحديث عن اليوم الآخر والوحي يخاطب مؤمنين بهذا اليوم ،معني ذلك أن الحديث عن هذا اليوم المشهود لم يكن فقط لمواجهة المنكرين به ... كـلا .. وإنما ليدل علي أن التذكير به ضرورة إيمانية ، يجب أن تصاحب الإنسـان في كل أدوار حياته وأطوارها ببل في كل صباح ومساء مع كل هجعة نوم ويقظة فالقرآن يذكرنا أن النوم وفاة أو ميتة صغري ،،،وأن اليقظة بعد النوم هـي بعـث جديد بعد هذه الوفاة اليومية؛ قال تعالي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْـرَى إِلَـى أَجَـلٍ مُسَمًّى﴾ (٣)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَـرَحْتُمْ بِالـنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤)،

ومـن مأثور أدعية الرسول عند النوم يذكر فيه بالآخرة (..إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أطلقتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين). (*). وعند اليقظة (الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور) (**).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٣) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦٠.

(*) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، ج٤ ص ١٠١.

(**) أخرجه البخاري عن أبي ذر، ج٤ ص ٧٧.

بـــل إن القرآن ليجعلنا في حضور دائم مع الآخرة في كل قول و فعل و في كـــل خاطـــرة علـــي قلـــب .يقول تعالي: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِـــيدٌ ﴾ (١)، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢)، ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

وقضـــية الإيمـــان بالـــيوم الآخر هي قضية فطرية بدأت مع خلق الإنسان ..وبدت مع الحوار الأول بعد هذا الخلق فالجنة والنار كانتا بارزتين في المشهد الأول للخلـــق فحين خلق آدم اسكنه الله الجنة .. وحين أبي إبليس أن يسجد كان الوعـــيد بالنار جزاء له ولمن تبعه ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَـــزَاؤُكُمْ جَـــزَاءً مَوْفُوراً ﴾ (٤)، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْـــتَقِيمَ ثُـــمَّ لَآتِيَـــنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥).

سورة ق، الآية ١٨.

سورة يونس، الآية ٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٦٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٦ – ١٨.

ولمـــا تعرض الشيطان لآدم وأغواه أهبطه الله إلي الأرض وفيما قال الحق تعالـــي: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[1].

وقـــال تعالي أيضا : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَـــنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[2].

ومع كل نبي كان الحديث عن اليوم الآخر مستفيضا آخذا مكانه في الأهمية كما ينبغي له أن يكون وهذا نوح (عليه السلام) يقول لقومه فيما يدعوهم إليه: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ﴾[3].

والنبـــي صالح (عليه السلام) يقول لقومه: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَامـــاً أَنَّكُـــمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْـــيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[4]. وهكـــذا كل النبيين وما الأمر بحاجة إلي استشهاد واستدلال .

---

[1] سورة الأعراف، الآية ٢٤، ٢٥.

[2] سورة طه، الآية ١٢٣، ١٢٤.

[3] سورة نوح، الآية ١٧ – ١٨.

[4] سورة المؤمنون، الآية ٣٥ – ٣٧.

قضية البعث في التوراة واعتقاد اليهود:

إن الأمر الذي يثير العجب.. ويدعو إلي الغرابة والدهشة أن الديانة اليهودية وهي إحدى الديانات الكبرى أو هي واحدة من الرسالات الكبرى التي عرفها التاريخ وموسى (عليه السلام) كبير أنبياء بني إسرائيل والتوراة هي ثاني كتب السماء أهمية ومع ذلك فإن الإنسان ليتملكه العجب وهو يري أن الديانة اليهودية ليس من الإيمان بها الاعتقاد باليوم الآخر والبعث وان كتاب التوراة ليس فيه كلمة صريحة عن اليوم الموعود علي الرغم من كلمات الله الأولي لموسي في اللقاء الأول حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[1].

علي الرغم من ذلك فان اليهودية المدعاة والتوراة المزورة لا تعرف اليوم الآخر ولا تشير إليه من قريب أو بعيد .

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: (وقد كانت الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة، والنار كما ينبئ بذلك القرآن الكريم، ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.

ومن ثم لا نجد من فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر علي الوجه الذي يقرره الإسلام ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم ، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمن لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانة موسي ، أي أن

---

[1] سورة طه، الآية ١٥ – ١٦.

بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فانهما متفقان في إنكار اليوم الآخر علي النحو الذي يقرره الإسلام)[1] .

وكذلك يقول الأستاذ سيد قطب (ولكن بني إسرائيل انحرفوا عن ديانة موسي وأغفلوا ما جاء فيها عن الآخرة فخلت كتبهم الملفقة من ذكرها، كما خلت حياتهم من حسبان حسابها)[2].

ولكنه يعثر علي ما يشبه الاعتقاد باليوم الآخر في بعض فرقهم مثل الفريسيين ومن النصوص الدالة علي ذلك قول بولس في سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثالث و العشرين "أنا فريس ابن فريس علي رجاء قيامة الأموات".

لكن ما نقله الدكتور عبد الواحد وافي يفيد بأن الفريسيين تعتقد بالبعث في هذه الأرض مرة أخري في آخر الزمان ليشتركوا في ملك المسيح لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانة موسي (عليه السلام).

بل إن الدكتور وافي يسجل عليهم أنهم (من ألد أعداء المسيح ، وأنهم هم الذين حاولوا أن يظهروه بمظهر الداعي إلي شق عصا الطاعة علي قيصر ، وكانوا علي رأس المتآمرين به و لم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب)[3].

ولكن قد يبدو هنا تساؤل وهو حديث القرآن عنهم وعن النصارى في قوله تعالي:﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[4].

---

[1] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، ص ٣٤.

[2] مشاهد القيامة، ص ٣٠.

[3] الأسفار المقدسة، ص ٥٥.

[4] سورة البقرة، الآية ١١١.

يذكـــر الدكتور وافي ردا علي ذلك أن في كتابهم الثاني و هو التلمود وردت فـــي بعـــض فقراته عبارات عن الجنة والنار لكنها في سورة مضربة أدني إلي الخرافة والأساطير منها إلي الحقائق العلمية أو العقائدية (تذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوي إليها الأرواح الذكية وأنه لا يدخلها إلا اليهود وأن أهلها يطعمون من لحـــم أنثـــي الحوت-المملحة التي تقدم ذكرها، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعـــم و لحم إوز سمين وإن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين و المسيحيين ومـــن إلـــيهم .. ويظهر أن القرآن يشير إلي هذه الفرق ويرد عليها..و في هذه الأمـــور جمـــيعا دلـــيل آخر علي أن أسفارهم هذه كلها من صنع أيديهم. ومبلغ الخـــلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله تعالي علي موسي نورا و هدي للناس) [1].

وهـــذا ومن العجيب أن نري صورة مقابلة لذلك تماما في الديانات الوثنية.. فبيـــنما اليهودية وهي دين سماوي ولها كتب وهو أشهر كتب السماء بعد القرآن وصاحبها نبي وثالث رسل الله مرتبة ومنزلة بعد سيد الأنبياء وأبي الأنبياء محمد وإبراهيم عليهما السلام بينما اليهودية التي هذه منزلتها لا تعرف اليوم الآخر ولا تعتـــرف به نجد في الديانات الوثنية من تجعل للبعث والحساب وقيامة الأموات أهمـــية كبري بل إنه لتقوم علي هذه العقيدة أعظم حضارات الأرض قديما وهي حضارة مصر القديمة التي لا تزال تذهل العالم بما وصلت إليه من تفوق علمي فني لا تزال حتى الآن إعجازا من الإعجاز البشري.

يقـــول الأســـتاذ ســـيد قطـــب(فحوالي سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد "أيام الأسرة خامســـة"إن لـــم يكن قبل ذلك كان هناك عالم آخر يتوقعه المصريون ، وكان خيـــر والشـــر جزاء في هذا العالم الآخر ، وفي هذا الوقت لم تكن هذه العقيدة

---

[1] الأسفار المقدسة، ص ٣٤، ٣٥.

مقصورة علي الكهنة ورجال الدين بل انتشرت في الأوساط الشعبية بما يدل علي أن جذورها ترجع إلي ما قبل هذا التاريخ).

ثم يُنقل عن المرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة في كتابه " علي هامش التاريخ المصري القديم " قوله:

(وفي هذا الوقت كانت عبادة "أوزوريس"قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية، وعبادة أوزوريس أساسها الأول أن كل إنسان ملكا كان أو فردا عاديا مسئول بعد الموت عن أعماله في الدنيا أمام محكمة إلهيه ، يتولى القضاء فيها "أوزوريس" نفسه ويساعده فيها توت وأفونيس وحوريس ومعات واثنان وأربعون قاضيا فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفئ بالنعيم الخالد وصار مثل أوزوريس ، أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش ، أو أن يلقي في النار ، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب) [1].

وبعد ألف سنة عرف البابليون "الكلدانيون" شيئا عن العالم الآخر (ثم تمضي ألف سنة أخري حتى نري فكرة العالم الآخر تبرز عند الفرس في ديانة "رزادشت" وعند الإغريق في أساطيرهم التي يعتمد عليها "هوميروس" في ملحمته "الأوذية ")[2](٢٧)

والذي لا شك فيه أن هذه العقيدة قد انتقلت إليهم من ديانات التوحيد وأنها كانت من أثر رسالات السماء . فقد (كان يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة السماوية، فيخلطوا بها أوشابا من الوثنية وتصوراتها السابقة علي الرسالة السماوية واللاحقة لها ، ومن بقايا العقيدة الصحيحة ومن هذه

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، ص ١٤، ١٥.

[2] مشاهد القيامة في القرآن، ص ٢٠، ٢١.

الأولب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة قد تترقى مع الزمن بتكرار الرسالات وتأثيرها المستمر في مستوي الوثنيات التي ترتد إليها البشرية) [1].

وهكذا كانت عقيدة اليوم الآخر فهي في أصلها عقيدة الفطرة منذ خلق الإنسان الأول وقد تضمنها كل دين سماوي ، ودعت إليها كل رسالات السماء فهي اصل من أصول الاعتقاد يقترن دائما مع الإيمان بالله الواحد. غير أن هذه العقيدة كانت تتأثر بانتكاس الفطرة في الإنسان.. وما ينحدر إليه في بعض الأحيان فيكفر حتى يكون أ ضل من الحيوان: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ [2]،﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [3].

بل إن الإنسان قد يغرق في الشر ويغالي فيه حتى يتجاوز الشيطان ويصبح الشيطان تابعا له بعد أن كان الرائد والإمام قال تعالي: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4].

إلي هذا المستوي قد ينحدر الإنسان بنفسه فيلتوي عن عبادة الحق و يُعمي عن نور الله فيبدل نعمة الله كفرا . ويغير من وحي الله فينكر اليهود مثلا القيامة

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، ص ١٤.

[2] سورة محمد، الآية ١٢.

[3] سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

[4] سورة الأعراف، الآية ١٧٥، ١٧٦.

وبعث الناس للحساب .. وتنتشر هذه الفرية في كل جمع أو مجتمع فاجر كافر.. لكـــن لما كانت هذه العقيدة نداء الفطرة وأنها﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [1]، كانت تتخلل العقائد الوثنية وتفرض نفسها علي الفكر الوثني فشاعت في المصريين والكلدانيين والإغريق وإن كانت مخلوطة بأوشاب الكفر وأوهامه وترهاته .

البعث ضرورة دينية وضرورة عقلية:

إن عقـــيدة اليوم الآخر كما أنها ضرورة دينية وحتمية عقدية هي في الوقت نفسه تمثل ضرورة عقلية تكمل التصور الصحيح لفكرة الحياة عند الإنسان والا فانـــه كما تقول بنت الشاطئ "إن تكن الحياة لا تعدو هذه المرحلة من المهد إلي اللحـــد فمـــا أبشـــعها مـــن مأساة تدعو إلي القنوط وتحقق في الأحياء منا إرادة الحياة"[2].

أو كمـــا يقـــول شيخنا الغزالي "ولو كان العيش في هذه الدنيا كل شئ لكان الانتحار العاجل أولي بالناس أجمعين "[3].

وفي محاولة أنها ضرورة إنسانية يري الأستاذ سيد قطب أن ذلك يرجع إلي ينابيع ثلاثة كل منها تحتم أن تكون هناك آخرة يعود إليها الإنسان ليصحح مسار الحياة وتكون هذه الحياة الدنيا أمرا معقولا ومقبولا .

النبع الأول : هو أن رغبة الفرد في أن يعيش رغبة فطرية ، وحاجاته علي الأرض لا تنقضي وآماله غير محدودة . ولكنه يموت :

---

[1] سورة البقرة، الآية ١٣٨.

[2] القرآن وقضايا الإنسان، ص ١٥١.

[3] عقيدة المسلم، ص ٢٣٣.

يموت وفي نفسه حاجات ، ويترك علي الأرض آماله ، كما يترك من خلفه أعزاء يفجعه أن يفارقهم ، ويفجعهم أن يغيب ، فهلا كان اللقاء بعد ذلك المغيب؟

النبع الثاني : أن الإنسان يري(كثيرا ما ينتصر الشر علي الخير ، وتعلو الرذيلة علي الفضيلة ، والفرد ــ في عمره المحدود ــ لا يشهد رد الفعل ، ولا يري عواقب الخير والشر فهلا كانت هناك كرة يلقي فيها الشر جزاءه وينتصر فيها الخير ، وينال الفضلاء الخيرون ما يستحقونه من علو وكرامة.

النبع الثالث : أن مصير الإنسان الذي عمر الأرض ، وصنع فيها ما صنع هل يصح أن يكون كمصير أية حشرة أو دابة أو زاحفة : حياة قصيرة محدودة لا يتم فيها شئ كامل أبدا ، ثم ينتهي كل شئ إلي الأبد ، إن الإنسان يعز عليه أن يكون له مثل هذا المصير البائس المهين).

(من هذه الينابيع التي تفجرت في الضمير الإنساني.. قامت فكرة العالم الآخر)

وهذه الينابيع هي الإنسانية في أعمق أعماقها ، وأعلي آفاقها[1].

وفي محاولة عقلية مجردة وفي اجتهاد فكري فلسفي محض بعيد عن أي مؤثر ديني يعرض لنا الدكتور يوسف موسي فكرة فيلسوف ألماني شهير هو الفيلسوف" كانت " عن اليوم الآخر كضرورة عقلية صرفة فيقول عنه :

(إنه يري أن الاتحاد بين الفضيلة والسعادة غير واقع في هذه الحياة ، بل غير ممكن أيضا ، وتلك المشكلة يجب حلها . وقد رأي في حلها حل عقليا ، أنه لا بد من فرض وجود الله وخلود الروح ، وجعل هذا من بدائه علم الأخلاق ومسلماته ، وأن يكون الإله كامل العلم ، ليعلم تماما قيمة كل إنسان وعمله وما

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، ص ١٣ – ١٤.

يستحقه من سعادة ، كما يكون كامل القدرة ليتخطى قوانين الطبيعة التي لا تربط بين الفضيلة والسعادة برابطة العلة والمعلول ويثيب الفاضل .

كمـــا يـــري أن هذا كله لا يكون علي كماله إلا في الدار الآخرة التي يكون فيها الخير جزاء الفضيلة ، والشر جزاء الرذيلة ، ولهذا يكون التسليم بذلك أمرا ضروريا في علم الأخلاق).

ثم يعلق الدكتور يوسف موسي فيقول :" وهكذا نري أن البعث والانتقال من هـــذه الحياة الدنيا إلي الحياة الأخرى الخالدة أمر يتفق فيه العقل والدين ، أو كما يقول الفيلسوف بن رشد ، هو أمر اتفقت عليه الشرائع وقامت عليه لبراهين عند العلماء"[1].

وتحت عنوان : أسئلة فطرية يقول الأستاذ سعيد حوي في كتابه الإسلام أن الإنســـان يشعر بالحزن أكثر مما يشعر بالفرح ، وبالألم والنكبة أكثر مما يشعر بالراحة والنعمة ، فإن كل شئ إذا كان أسرع صدمة لأحاسيسه كان اكثر تحريكا لقوة فكره ، ألا تري أننا حين نحصل علي شئ فقلما نتساءل من أين جاء؟ وكيف جاء ، والي متي يبقي عندنا ؟

ولكن حين نفقد شيئا فان الحزن عليه يصب علي مخيلتنا صوتا قويا وهناك نجد نفسنا نتساءل : كيف ضاع ..؟ وأين ذهب ..؟ وأين عسي أن يكون ؟ وهل عسي أن تعثر عليه مرة أخري ؟

ولأجـــل هذا فإن السؤال عن مبدأ الحياة لا يهمنا بقدر ما يهمنا السؤال عن الموت وما بعده .

---

[1] الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، ص ١٥٨، ١٥٩.

ولعـــل الدنيا ليس فيها فرد واحد يشاهد هذه الحوادث ثم لا يقلقه السؤال عن المـــوت ولا يتســـاءل .. ما هذا الموت ؟ وأين يقضي الإنسان بعد اجتياز بابه ؟ وماذا وراء هذا الموت؟

هذا السؤال عام تفكر فيه العوام والخواص جميعا من الفلاحين العاديين إلي الفلاسفة والحكماء الكبار[1].

ثم إن العقل يقرر أنه لو كان العيش في ظل فكرة البعث يحقق في الحياة أمنا واســتقرار ، وصـــلاحا وإصلاحا فأولي لكل إنسان أن يعتقدها كسبب استقرار وعامل يساعد علي نجاح مسيرة الحياة وإيجابيتها في اتجاه الخير والفضيلة.

وأيضـــا إنها عقيدة لا ضرر فيها ولا ضرار ، ولا ضير منها علي الإطلاق وليس لها أي مؤثر سلبي يعود علي الفرد أو المجتمع أو الحياة يقول أبو العلاء:

قال المنجم والطبيب كلاهما .: لا تحشـــر الأجســـاد، قلت
إن صـــح قـــولكما فلـــيس .: أو صـــح قولـــي فالخسار
إن لـــم تعد بيدي منافـــع .: آتـــي فهـــل مـــن عائـــد

ومن هنا فالإيمان بذلك يمثل العقل والحزم وهو الصلاح والإصلاح، وهو الـــوجه الإيجابي للحياة، وهو معين للعطاء والإثراء بكل جميل وخير ونفع يسعد بـــه الـــناس بينما افتقاد هذا الاعتقاد يحول الحياة إلي غابة والأحياء إلي أنعام.. ولأصـــبح قانون المنفعة هو سيد القوانين ولذلك تصبح الحياة لونا من الجحيم أو ألوانا من العذاب فيشقي الناس بالحياة وتشقي الحياة بالناس.

إن العقـــل المجـــرد يقول أليس من شك أن عالمنا موجود وحاصل بالفعل ، وبدهـــي الوقوع، وإذا كان هذا العالم ممكنا ، فإيجاد عالم مماثل له يكون ممكنا بالضرورة لأن وجود أحد المتماثلين يدل علي المماثل الأخر.

---

[1] الإسلام، الجزء الرابع، ص ١٠٩.

وإن لـم يكـن مماثلا ولو سألنا إنسانا هل يستطيع باني الدار أن يبني مثلها لاسـتغرب هـذا السؤال لأن جوابه معه ، ويدل عليه بنفسه"[1](٣٨) وهكذا تبدو عقـيدة البعث من جانب عقلي بحت أمرا ممكنا بل أمرا ضروريا وحتمية عقلية توفـر للقلب طمأنينة . وللعقل اقتناعا بتصور صحيح ومقبول للحياة .. وراحة نفسية.. وأمنا واستقرارا لمسيرة الحياة..

أما كون البعث ضرورة دينية فهو وإن كان أمرا بدهيا لا يحتاج إلي بيان بعد أن قدمـنا لذلك أول الحديث وعلمنا أن الحديث عن البعث قلما تخلو منه صورة مـن صور القرآن بل أن صور بأكملها ليس فيها من حديث غير البعث . ورأينا ارتـباط الإيمـان بالله بالإيمان بالبعث فلا إيمان بالله إلا مع الإيمان بالبعث قال تعالي﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[2].

أقول علي الرغم من أن هذا بدهي ومعلوم من الدين بالضرورة إلا أني أري نظـرا لخطورة الموضوع _ أن أقدم كلمة قصيرة في هذا المعني وهو بيان أن البعث ضرورة دينية فأقول وبالله التوفيق :

أولا _ إن كـتاب الله (ﷻ) يقول:﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُـوا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وما هذه الدنيا بما فيها إلا ما يمثله المحدود بجانب غير المحـدود والنهائـي بالنسبة إلي اللانهائي قال تعالي: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

---

[1] فلسفة المبدأ والمعاد، تأليف محمد جواد، ص ١١٩.

[2] سورة الزمر، الآية ٤٥.

[3] سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [1]، ولهـذا فإن الذي ينبغي للإنسان المؤمن أن يبتغي في كل شـئ هـذه الحياة الحقيقية لأن الدنيا بالنسبة لها نصيب محدود جدا . وما بعث رسول الله (ص) إلا ليعلمنا ذلك وليكون لنا فيه القدوة والإمام قال تعالي﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [2]، وقال سبحانه: ﴿ لَقَـدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [3].

ثانيا- إن الحياة الدنيا إنما تمثل دار الابتلاء والاختبار والامتحان الكبير الذي تكو نتيجته وثمرته هي الدار الآخرة بما تمثله من نعيم مقيم لا ينفد لمن نجح في هـذا الابـتلاء أو عذاب أليم لا ينتهي في جهنم وبئس المصير لمن فشل في هذا الابتلاء .

قال تعالي﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [4].

إن الفكـر الديني يقول : لقد خلق الله (ﷻ) الإنسان وجعل الابتلاء في مادة خلقـه واصل تكوينه فقال تعالي: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [5].

ولقد استخلف الله الإنسان في الأرض وأودعه أمانة التكليف التي تحملها بعد ن عرضت ﴿ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

---

[1] سورة الرعد، الآية ٢٦.

[2] سورة القصص، الآية ٧٧.

[3] سورة الأحزاب، الآية ٢١.

[4] سورة فاطر، الآية ٣٦.

[5] سورة الدهر، الآية ٢.

مِـنْهَا وَحَمَلَهَـا الْإِنْسَـانُ﴾[1]، ولصعوبة حمل هذه الأمانة ولخطر الابتلاء بالتكليف جعل الله بعض العطاء وجزءا من الجزاء لمن وفي ، أمة أو فرد فقال تعالـي للأمـة التي يتقي بأمر الله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِـي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَهُـمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِـي لا يُشْـرِكُونَ بِـي شَـيْئاً وَمَـنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2].

وللفـرد يقـول سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[3].

ثالـثا- الله سبحانه قال عن حكمة خلق الإنس والجن: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4]، ولم يكن الإنس والجن هما الجنسان العابدان بل كل المخلـوقات تعـبد الله وتسبح بحمده وتقدس له:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْـأَرْضُ وَمَـنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[5].

لكن غير الجن والإنس لم يجعل الله له حرية في أن يعبد أو لا يعبد أن يطيع أو لا يطيع فالملائكة﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[2] سورة النور، الآية ٥٥.

[3] سورة النحل، الآية ٩٧.

[4] سورة الذاريات، الآية ٥٦.

[5] سورة الإسراء، الآية (٤٤).

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (١).

وقال عن السماوات السبع: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٢). فلم يجعل الله الخيرة إلا للإنسان والجان ورتب علي حرية الاختيار بين الإيمان والكفر وبين الخير والشر الذين قال فيهما " وهديناه النجدين""أنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا " رتب علي ذلك الجزاء إلا وفي يوم القيامة إما جنة أبدا لمن آمن واتقي وصدق بالحسنى ، أما نار أبدا لمن بخل واستغني وكذب بالحسنى .

بل إنه سبحانه وتعالي من أجل أن تكون الحدود فاصلة ، والأحكام قاطعة ، ومعالم الخير والشر علي المحجة البيضاء لا لبس فيها ولا خفاء أرسل سبحانه رسلا من البشر مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فلا يكون بعد ذلك للناس علي الله حجة بعد الرسل .

كل هذا لأن هناك ابتلاء كبير سيواجه الإنسان ويعيش بسببه في صراع عنيف لا ينجو منه إلا القليل ممن رحمهم الله .

وهذا الابتلاء من أكثر من جهة كل جهة أكبر من أختها .. وأول ذلك الشيطان عليه لعنة الله وكان أول ابتلاء للإنسان به في الجنة وقد استطاع أن يخرج آدم من الجنة بعد أن أغواه . قال تعالي:﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٢٦- ٢٨.

(٢) سورة فصلت، الآية ١١.

سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

والثاني في قائمة معاول هدم الإنسان النفس الأمارة بالسوء ويكفي الابتلاء بها أنها كانت وراء أول وأكبر جريمة قتل وقعت في هذه الأرض ومن أخ ضد أخيه قال تعالى﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

وثالثة الأثافي هذه الشهوات التي حذر القرآن منها فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[3].

وتأسيسا علي كل ما سبق نستطيع القول بأن كل ما في الحياة وما تحت أيدي الناس يمثل في وجه منه ابتلاء من الله (ﷻ) .

فكل ما تعطيه الأرض للناس ابتلاء﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[4]، بل إن في هبة الحياة وسلبها بلاء: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[5]، وكذلك حكم الله في كل نعمة تعطي أو تؤخذ وفي كل خير يمنح أو يمنع قال

---

[1] سورة الأعراف، الآية ٢٧.

[2] سورة المائدة، الآية ٣٠.

[3] سورة آل عمران، الآية ١٤.

[4] سورة الكهف، الآية ٧.

[5] سورة الملك، الآية ٢.

تعالـــي: ﴿ وَنَـــبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [2].

إن الله إذا أعطيَ ناسا ومنع آخرين فذلك ابتلاء للمعطي فيما أعطاه وللممنوع فـيما منعه .. وهذا التفاوت بين الناس في الدرجات بعض سببه هو هذا الابتلاء كمـــا قـــال تعالـــي﴿ وَرَفَـــعَ بَعْضَـــكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [3].

بـــل إن اختلاف المناهج والشرائع بين الأمم فيه هو الآخر بلاء كما يتضح ذلك من خلال قوله تعالي﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِـــنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّـــا جَـــاءَكَ مِـــنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُـــمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [4].

وعلي طريق التربية أو كما هو منطق القرآن : التزكية والعبرة يقص علينا القـــرآن نماذج لذلك سواء ابتلاء العطاء أو ابتلاء الضراء وفي الأول يذكر الله عـــن سليمان (عليه السلام)الذي أعطاه الله كما دعي ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وفي مشهد عجيب يذكره القرآن المجيد يطلب سليمان من الملأ حوله من يأتيه بعرش ملكـــة ســـبأ: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ

---

[1] سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

[2] سورة الفجر، الآية ١٥ – ١٧.

[3] سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

[4] سورة المائدة، الآية ٤٨.

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

والشاهد هنا أن النبي الصالح سليمان (عليه السلام)كان تعليقه علي العطاء الرباني العجيب أنه ابتلاء منه سبحانه ليري أيشكر عبده أم يكفر .

أما نموذج الضراء فنختار له العبد الصابر نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لقد أبتلي في بدنه بضر صبر معه طويلا حتى امتدحه القرآن الكريم وسجل بلاءه وصبره الجميل والطويل والذي لم يزد في نهايته إلا أن قال مناجيا ربه: ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]، وسرعان ما استجاب الله له فكشف عنه ضره وزاد في عطائه جزاء صبره قال تعالي: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾[3]. وفي مدحه يقول عنه ربه (عز وجل): ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4]، هذا والابتلاء بالضر أو ما يحسبه الناس شر هو الابتلاء الظاهر حتى ليقصر بعض الناس الابتلاء عليه لأنه الأكثر والأظهر ولأنه لا تخلو منه نفس ولا يشد عن الابتلائية أحد فلقد أقسم الله أن يبتلي به كل الناس

---

(1) سورة النمل، الآية ٣٩، ٤٠.

(2) سورة الأنبياء، الآية ٨٣، ٨٤.

(3) سورة الأنبياء، الآية ٨٣، ٨٤.

(4) سورة ص، الآية ٤٤.

فقـــال تعالي مقسما ومؤكدا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

وإنما كان هذا هو العموم والشمول لان الله (ﷻ) يريد أن يميز بين الخبيث والطيب والصادق والدعي والمحق والمبطل فان دعوى الإيمان ليست أمرا هينا ولا شـــيئا صغيرا وإنما هي الحقيقة الكبرى في دنيا الناس ، والعهد الذي يربط بين السماء والأرض أو بين الله والإنسان .. ويأبى الحق (ﷻ) أن يجعلها مجالا للمتاجرة بين الكذبة والأدعياء .. أوان يجعل أمرها هونا يلهو به العابثون وآهل الصغار . فأراد الله (ﷻ)أن يفصل بين أهل الصدق وأهل الزيف وبين من يعبد الله علي حق وبين من يعبده علي حرف ..فجعل سبحانه الابتلاء حدا فاصلا بين أولئك وهؤلاء قال تعالي: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَـــنُونَ وَلَقَـــدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِـــيثَ مِـــنَ الطَّـــيِّبِ ﴾[3]، وقال عز من قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[4].

وهناك باب آخر من أبواب البلاء هو أهمها وأخطرها علي الإطلاق ولهذا كان موقعه من الدين ومكانه ذروة السنام فلقد جاء في صحيح حديث رسول الله

---

[1] سورة البقرة، الآية ١٠٥.

[2] سورة العنكبوت، الآية ٢ – ٣.

[3] سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

[4] سورة محمد، الآية ٣١.

صلي الله عليه وسلم" رأس الأمر الإسلام ، وعماده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله (*) " .

والجهاد في سبيل الله ضرورة دينية فإن الكفر بطبعه ظلوم عدواني . والكافر-بالتالي ظلوم جهول لا يدخر جهدا في إلحاق الأذى بالإيمان والمؤمنين والمؤمنون مطالبون أن ينشروا نور الإسلام .. وأن ينقلوا إلي كل عقل وقلب نعمة الإيمان .. ثم إنهم في عزة بدينهم ، وفي كرامة بإيمانهم: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)، ولهذا كان لا بد أن يحتدم الصراع بين الإيمان والكفر وبين حق الله وباطل الإنسان .. فالكافرون يقعدون للمؤمنين كل مرصد ويجاهدون ليطفؤا نور الله بأفواههم، ويجادلون لاحتواء المؤمنين: ﴿ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ (٢)، ولن ينتهوا عن المؤمنين حتى يعيدوهم إلي ملتهم قال تعالي: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (٣)، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (٤)،﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٥)، ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً ﴾ (٦)، وغير ذلك كثير ..

وتأبي كرامة الإيمان وعزة الإسلام إلا أن يدفعوا الظلم بالعدل وان يضربوا الباطل بالحق .. وان يزهقوا بالإيمان الكفر وصدق ربنا: ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ

(*) أخرجه الترمذي عن معاذ بن جبل، ج٥، ص ١٢.

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٣٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٦.

(٦) سورة التوبة، الآية ١٠.

مِـــنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [1]، وكان يمكن للحق (ﷻ)أن يخسف بهم الأرض أو أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لكنه كما قال تعالي: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَـــرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [2]، وفي ذلك ولاشك رفع راية وعزة وكرامة وإعلاء مقام لقوم مؤمنـــين: ﴿ قَاتِلُـــوهُمْ يُعَـــذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْـــفِ صُـــدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [3].

وأخيـــرا تبقـــي كلمـــة لا بد منها في نهاية هذا الحديث نعلق بها علي حياة الابتلاء أو ابتلاء الحياة وهي : ليس معني ذلك أن هذه الدنيا لا تعرف غير الكبد وغير هذا الوجه الصعب .. ولا تعرف سوي المعاناة وحسب .. وأن كل النتائج في الدار الآخرة .. والجزاء جميعه في يوم الدين كلا .. وكلا .. فان هذه الحياة لا بد وأن تري نصيبا من هذا الجزاء .. وبعضا من هذا العطاء.. وبشريات لما ســـوف يكـــون يـــوم الجزاء الأكبر .. حتى يمكن للناس أن يقبلوا عليها .. وأن يعمروها .. ليحققوا ما قال الله: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [4]، ولأجـــل أن يتميز فيها الحق ويمتاز فيها أهله وينكشف النقاب فيها عن وجه الـــباطل وتـــزول دولـــته: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [5].

---

[1] سورة البقرة، الآية ٤٩.

[2] سورة القتال، الآية ٤.

[3] سورة التوبة، الآية ١٤ – ١٥.

[4] سورة هود، الآية ٦١.

[5] سورة الأنفال، الآية ٤٢.

ثـم ليثـبت قدم الناس في البلاء .. وليربط الله على قلوب أهل الإيمان من أصـحاب البلاء.. فمثلا الجهاد في سبيل الله أمر يتعلق بالدين وبحق الله وبكلمة التوحيد وبكرامة الحق وأهله وعزة الأيمان والمؤمنين .. ولان العطاء فيه يكون بأغلـى مـا يملـك الإنسان وهو النفس والمال. والإنسان لا يحرص على شئ حرصه عليهما فلو لم يكن ما يضحي في سبيله أغلى وأقوى منهما لن يقدم على ذلـك .. ولهذا جعل الله للمجاهدين أجرا في الدنيا . فضمن لهم نصرا عزيزا في الحـياة وعدا منه تعالي مؤكدا .. لكن بشرط أن يكون الهدف إعلاء كلمة الله .. وأن يعـد المؤمنـين ما استطاعوا من قوة .. وأن يصدقوا الله ما وعدوه هنا لا يـتخلف عـنهم النصـر لأن النصـر بيد الله وهو غالب علي أمره قال تعالي: ﴿ وَكَـانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [2]، ﴿كَـتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [3]، وقد قال (عليه السلام): "نصرت بالرعب مسيرة شهر" .

وهكـذا يجعل الله للمجاهدين ثمرة معجلة في الدنيا .. وللجهاد نتيجة حاسمة فـي هذه الدنيا قتلوا عدوهم أو قتلوا غنموا أو لم يصادقوا مغنما فقد قال تعالي: ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [4].

ولـن يـتخلف هذا الوعد من الله أبدا إلا إذا أخلف المؤمنين ربهم ما وعدوه وعصوا أمر ربهم ونبيهم وهذا ما كان يوم أحد وحنين.

ومـن ذلك أيضا ما يتعلق بالظلم والظالمين وعقوق الوالدين مثلا فالمظلوم ينصر الله دعوته ولو بعد حين ولو كان الظالم مسلما والمظلوم كافرا .. وعقوق الوالدين يعجل الله جزاءا عليه في الحياة قبل الممات .

---

[1] سورة الروم، الآية ٤٧.

[2] سورة الصافات، الآية ١٣٧.

[3] سورة المجادلة، الآية ٢١.

[4] سورة النساء، الآية ٧٤.

ثم أهل البلاء إذا اشتد يعجل لهم من خزائن رحمته ما يربط علي قلوبهم كما جـاء ذلك في حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم " من استرجع عند المصيبة فقـال أنـا لله وإنـا إليه راجعون جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا يرضاه" وكما حدث مع نبي الله أيوب وإبراهيم وغيريهما ...

ومـثل ذلك أهل السخاء والعطاء يرجون ما عند الله يجعل الله لهم بشريات وبشـريات كما قال الله تعالي:﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١)، مصداقا لقول الله: ﴿ لَهُـمُ الْبُشْـرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢)، ولقد جاء رجل إلي رسـول الله صلي الله عليه وسلم فقال : إني أعمل العمل في السر ابتغي به وجه الله فأصـبح فأري الناس يتحدثون به فينشرح لحديثهم صدري أمن الرياء ذلك يا رسـول الله قـال صلي الله عليه وسلم " لا ذلك عاجل بشري المؤمنين (*)" وتلا قوله تعالي " لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة " ..

والأمـر الأكثـر أهمية أيضا في تعجيل شئ من الجزاء في الدنيا أن طبيعة البشر علي ما خلقها البشر مؤسسة علي العجلة قال الله ذلك في أكثر من سورة: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (٣)، ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ (٤).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٢) سورة يونس، الآية ٦٤.

(*) رواه مسلم عن أبي ذر قاله في دليل الفالحين ج٨ ص١٨

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية ١١.

شبهات المنكرين للبعث
واستدلالات القرآن عليها

كمـــا ســـبق أن ذكـــرنا أن الكتاب العزيز قد عني بقضية البعث كما لم يعن بقضية أخري وجعلها قرينة الإيمان بالله الواحد .

وفي عناية القرآن المجيد بها لم يكتف بالحديث عنها مؤكدا عليها .. وداعيا إلي مراعاتها عند كل قول وفعل وفكر .. كما لم يكتف بذكر حديث الأنبياء عنها والدعاة إلي الله والاستدلال عليها بكل أنواع الاستدلال .

بل انه عرض للوجه الآخر لمن ينكرون هذا الاعتقاد .. ويقفون منه موقف العداء ويسخرون به وبالمؤمنين بوقوعه ، ويحاولون إيراد الشبه عليه ، والشغب حوله بالجدل العقيم الذي لا طائل من ورائه بما يشبه شغب إبليس لما استكبر أن يســـجد لآدم .. أن الحق أبلج والباطن لجلج ، ونور الحق من نور الله لا يطفئه ريح الباطل ولا يحجبه الضباب الذي يلجأ إليه كل مسرف مرتاب . فما هي هذه الشبهة التي تعلل بها الكاذبون وأطلقها المفسدون في الأرض ..؟

ولكن قبل الإجابة يجدر التنبيه إلي أمرين :

الأول : أن إنكـــار الـــبعث لـــم يكـــن اعـــتقادا متفقا عليه بين كل الوثنيين والمشـــركين وقـــد ســـبق أن فكرة البعث والحياة الآخرة بعد الموت عُرفت قبل خمسة آلاف سنة تقريبا في مصر وقامت علي أساسها الحضارة المصرية القديمة ثم انتقلت بعد ذلك إلي الكلدانيين بعد ألف سنة وتمضي ألف أخري قبل أن تنتقل إلي الفرس .

وذلك دليل علي أنه اعتقاد متجاوب مع الفطرة .. وأن الذين يصدون عنه لا يمثلون حقا أجمع عليه كل الناس .. وإنما هو غي الشيطان وتلبيس إبليس مهما كثر عددهم .. وتضاعف جمعهم.

الأمر الثاني : أن بعض الكتاب المسلمين وقع تحت تأثير كتابات الغرب التي تأسست علي فكرة النشوء والارتقاء الدار ونية فيكتب عن عقيدة اليوم الآخر وكأنها تطور لفكر الإنسان في صراعه من أجل البقاء ..

تقول الدكتورة بنت الشاطئ ".. ومن قديم حاولت البشرية قبل عصر الأديان أن تقاوم فكرة العدم وكأنها أدركت بفطرتها أن كل مغريات الوجود لا تكفي لحماية الإنسان من رفض حياة تنتهي حتما بهذا المصير الرهيب . ولعلها في عصورها البدائية ، كانت مدفوعة إلى هذه المقاومة بغريزة البقاء أو محكومة بالسنن الكونية التي تريد لهذه الحياة أن تستمر .."[1].

ثم تقول : (وكانت عقيدة البعث في الديانة المصرية القديمة محاولة مستبسلة لمقاومه فكرة العدم بعد الموت ، وهذه العقيدة هي التي هيأت لإنسان وادي النيل قدرته المبدعة على بناء الحضارة البشرية الأولى .

كما كانت عقيدة التناسخ عند الهنود ، محاوله أخرى للفرار من فكرة الفناء الأبدي بالموت.

وأطال الفلاسفة الأقدمون التأمل في (الكون والفساد) فظهر القول بخلود الروح تعزية لهذا الإنسان عن بلى جسده.

على حين اتجه الشعراء وأصحاب الفن إلى التماس العزاء من الأمل في بقاء ما يخلقون ويبدعون ، بعد إن يرحلوا عن الدنيا أو مآب .. وهنا قالت :

---

[1] القرآن وقضايا العصر، ص ١٥١.

" وجـــاء عصر الرسالات الدينية المعروفة لنا ، والبشرية تناضل في سبيل اســتبقاء إرادة الحياة من التدمير الذي يحيق بها أن هي استسلمت لليقين بالعدم ، فبشرتها رسالات الدين بحياة أخرى بعد الموت ، يرتهن مصير الإنسان فيها بما قدمت يداه في الحياة الدنيا [1]، وهكذا كأن الدين جاء بعد الصراع المضني لإرادة الحـــياة ومقاومة فكرة العدم التي تدفع إليها غريزة البقاء وسنن الحياة الكونية ، وإرادة الكفاح في الإنسان.

مـــع أن الـــدين يقـــول أن عقيدة البعث بدأت قبل الخطوة الأولي علي هذه الأرض فعند هبوط آدم

إلي الأرض قال الله (عز وجل):﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّـــا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَـــنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْـــيَوْمَ تُنْسَـــى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [2].

وأيضـــا قال تعالي: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْـــتَقَرٌّ وَمَـــتَاعٌ إِلَـــى حِـــينٍ قَـــالَ فِـــيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْـــرَجُونَ ﴾ [3]، وفي قصة ولدي آدم قال التقي لأخيه الذي يريد قتله: ﴿ لَئِنْ بَسَـــطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـــالَمِينَ إِنِّـــي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ

---

[1] المرجع السابق، ص ١٥٢، ١٥٣.

[2] سورة طه، الآية ١٢٣، ١٢٧.

[3] سورة الأعراف، الآية ٢٤، ٢٥.

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، فهي إذا عقيدة قديمة قدم خلق الإنسان .. وليست تطـورا لفكـرا واجتهاد عقلي ثم جاء الدين بعد ذلك بهذه العقيدة كما يفهم من قـولها : (ومن قديم حاولت البشرية قبل عصر الأديان إن تقاوم فكرة العدم .. وجـاء عصر الرسالات الدينية المعروفة لنا ، والبشرية تناضل في سبيل استنقاذ إرادة الحياة من التدمير الذي يحيق بها إن هي استسلمت لليقين بالعدم ، فبشرتها رسالات الدين بحياة أخري بعد الموت ..) كأن الإنسانية بدأت لا دينية واستمرت طـويلا حتـى جـاء عصر الرسالات .. إن هذا يوافق أو هو مأخوذ من فكرة النشوء والارتقاء .

يقول الأستاذ سيد قطب : " أن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم (عليه السلام) إلـي محمـد علـيه الصلاة والسلام قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها لوحدانية الله سبحان وذلك خلافا لما تقرره بحوث " الأديان المقارنة" المستندة إلي نظرية النشوء والارتقاء الدورانية .

ولكـن كـان يحـدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة السماوية ، فيخلطوا أوشابا من الوثنية وتصوراتها السابقة علي الرسالة السماوية واللاحقـة لهـا ، ومن بقايا العقيدة الصحيحة ومن هذه الأوشاب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة قد تترقي مع الزمن بتكرار الرسالات وتأثيرها المستمر في مستوي الوثنيات التي ترتد إليها البشرية .. "[2]، ثم أعطي النماذج علي ذلك بما كان عند المصريين والبابليين والفرس ..

وبعد هذه العجالة السريعة إلي هذين الأمرين ننتقل إلي ما أثاره أعداء الدين من شبه –في ظنهم– علي عقيدة البعث .. فما هي هذه الشبه في ظنهم ؟

---

[1] سورة المائدة، الآية ٢٨، ٢٩.

[2] مشاهد القيامة في القرآن، ص ٢٣.

يقــول الأستاذ سعيد حوي : " أن القرآن لما عرض علي الناس عقيدة الحياة الآخــرة ما كان حجة منكريها في ذلك الزمان إلا عين حجة منكريها في زماننا الحاضــر .. وذلك أن هذه هي الحجة الوحيدة التي يستطيع أن يحتج بها منكرو هذه العقيدة في كل زمان ومكان .. وخلاصتها أن الحياة بعد الموت أمر لا يقبله العقل والقياس ... "[1].

والواقــع أن الذي قالوه لا يمثل حجة ولا شبه حجة وقد تجاوز الأستاذ سعيد حوي حينما أعتبره حجة .. فالكفار حين أنكروا البعث لم يقدموا دليلا واحدا علي ذلك وما جاء عنهم لا يزيد عن مجرد الاستبعاد المبني علي أنه أمر لم يألفوه أو يــتعودوه . أضف إلي ذلك العناد الذي يركب متــنه المخالف حين يعجز عن مواجهة الحجة بالحجة .

إن أقصــي مــا يقــال في إنكارهم الشديد هو أنه مجرد ظن في تقديرهم ..ولــيس كــل ظن راجح عند صاحبه يكون ظنا راجحا في نفسه أو في حقيقة الأمر وخاصة إذا قام الدليل اليقيني علي ضده .

والقرآن الكريم قد أنصفهم حين قال أن إنكارهم مبني علي ظن عندهم فالظن إدراك الطرف الراجح في عقل صاحبه . وما كان يصح لإنكار البعث أن يكون راجحا أبدا بعد أن قال الله فيه ما قــــال

نعــم قد كان ممكنا أن يترجح الإنكار لدي المنكرين لو لم يأت به الوحي أما أن يأتي في رسالات الله وبأوضح عبارة وأجلي بيان فهذا هو الخطأ والخطر في اعتقاد الكفار .

وظن الكفار قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالي: **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ**

---

[1] الإسلام، ج٤، ص ١٢١.

هُـــمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [1]، وفي مواجهتهم بالحجة الدامغة تحملها إليهم آيات الكتاب العزيز كان قولهم ما سجله الله عليهم في الآية التالية: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2].

وبناء علي هذا الظن في تقديرهم قالوا ما قالوه في إنكار البعث فأوهموا في عـباراتهم أنـه من الغرابة بمكان ومن العجائب التي لا يسيغها عقل إنسان وقد سـجل القـرآن عباراتهم المنكرة في أكثر من سورة قال تعالي: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [3]، ﴿ وَقَالُـوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ [4]،﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [5]، ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [6].

وقالـوا في سخريتهم الكافرة بسيدنا رسول الله (ﷺ):﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَـلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَـرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّـلالِ الْبَعِيدِ ﴾ [7] . وبالغوا في إظهار إنكارهم بالقسم كما هي عادة من يري موقفه غير جدير بالثقة فيحاول أن ينتزع الثقة بكل وسيلة .. والقسم أكثر ما يلجأ إليه المريب .

---

[1] سورة الجاثية، الآية ٢٤.

[2] سورة الجاثية، الآية ٢٥.

[3] سورة السجدة، الآية ١٠.

[4] سورة الإسراء، الآية ٤٩.

[5] سورة ق، الآية ٣.

[6] سورة يس، الآية ٧٨.

[7] سورة سبأ، الآية ٧، ٨.

قال تعالي: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وهكذا التوي الحديث علي السنة هؤلاء الكفار أصحاب القلوب الملتوية والنفوس المستكبرة لا يقولون إلا كذبا ، ولا يرددون إلا زعما لا سناد لهم أكثر من الظن: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[2]، وهو لا يعدو ظن الجاهلية .. وزعم المبطلين : أحرى أن يقال لهم: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3]، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[4]، وهكذا سجل القرآن بكل أمانة مقالة أعدائه .. وإن كانت اتهامات وبذاءات وزورا من القول وبهتانا فقوي الحجة لا يخشى الضعفاء .. والمستعلي بالحق لا يخشى أهل الصغار .. وصاحب القدم الثابت واليقين الراسخ لا يأبه بمن سفهت عقولهم وأفئدتهم هواء . بل إن ذكر باطلهم بجانب ذكر الحق يضاعف من قوة الحق ويزيد الباطل وهنا علي وهن .

وأخيرا بقي ذكر استدلالات القرآن العظيم علي اليوم العظيم .. وما كان أغني القرآن أن يستدل علي حق جاء من عند الله لأنه دليل علي نفسه فلا حاجة له إلي برهان لكن لما كان يستهدف إقناع العقل وطمأنة القلوب والعقل يستريح إلي الدليل ، وبالبرهان يقوى اليقين .. ومن أحل أن يرد شغب المشاغبين ويجعل قولهم سرابا يحسبه الظمآن ماء أو هباء تذروه الرياح .. من أجل ذلك وغير

---

[1] سورة النحل، الآية ٣٨.

[2] سورة النجم، الآية ٢٨.

[3] سورة فصلت، الآية ٢٣.

[4] سورة التغابن، الآية ٧.

ذلـك أورد مجمـوعة من الاستدلالات كل استدلال منها يلقم المكذب حجرا .. ويخرس صوت الباطل فلا يكاد يبين .

وممـن تكلـم في هذه الاستدلالات بشئ من الإيجاز المبين المرحوم الشيخ محمـود شلتوت في تفسيره إذ قال : إن للقرآن الكريم طرقا شتي في الاستدلال علي قضية البعث فهو يستدل عليها:

بخلـق السـماوات والأرض: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾[1]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾[2].

ويستدل بخلق الإنسان :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[3].

_ ويستدل بقياس الخلق الثاني علي الأول :﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَـلْ هُـمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[4]،﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي

---

[1] سورة يس، الآية ٨١.

[2] سورة الأحقاف، الآية ٣٣.

[3] سورة الحج، الآية ٥.

[4] سورة ق، الآية ١٥.

فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [1]،﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [2]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [3].

_ ويستدل بإحياء الأرض بعد موتها :

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4].

_ ويستدل بأن الحكمة والعدل يقضيان بالحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، كما يقضيان بان ينال المحسن جزاء إحسانه والمسيء جزاء إساءته ، وهذان شأنان هامان إذ كثيرا ما يرتحل الناس عن الدنيا دون أن يعرفوا الحق فيما اختلفوا فيه ودون أن يسهل عليهم سلوك طريق النقاء لمن نسي نفسه ، وإذا فلا بد من دار أخرى؛ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [5]، ثم﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ [6].

ويستدل أيضا بأن الإعادة التي يستبعدها المعاندون لا تتوقف إلا على العلم والقدرة وهما عند الله من مرتبة ذاته العلية ، لا يعزب عن علمه شئ ، ولا

---

[1] سورة الإسراء، الآية ٥١.

[2] سورة يس، الآية ٧٩.

[3] سورة الروم، الآية ٢٧.

[4] سورة الحج، الآية ٥.

[5] سورة الأنعام، الآية ٧٠.

[6] سورة النمل، الآية ٣٩.

يعجزه شيء: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [1]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [2]، ومن العجيب في هذا الاستدلال الأخير أن نرى الفيلسوف الألماني (كانـت) قد اهتدى إليه . كما سبق أن ذكرنا رأيه في ضرورة البعث ولا بأس مـن إعادة ذكر رأيه لنرى المطابقة الكاملة بين استدلال القران الكريم وبين احد المفكرين من الفلاسفة الكبار الذي لم يقرأ قرانا . . فهو يتناول الأشياء من وجهة نظر عقليه فلسفيه محضه يقول الدكتور يوسف موسى عنه " انه يرى أن الاتحاد بـين الفضـيلة والسعادة غير واقع في هذه الحياة بل غير ممكن ، وتلك مشكله يجـب حلهـا حلا عقليا ، انه لابد من فرض وجود الله وخلود الروح وان يكون الإلـه كامل العلم ليعلم تماما قيمه كل إنسان وعمله وما يستحقه من سعادة كما يكـون كامل القدرة ليتخطى قوانين الطبيعة، التي لا تربط بين الفضيلة والسعادة برابطه العلة والمعلول – ويثيب الفاضل .

كما يرى أن هذا كله لا يكون على كماله إلا في الدار الآخرة التي يكون فيها الخير جزاء الفضيلة والشر جزاء الرذيلة .." [3].

هـذا وهناك أنواع من الاستدلالات غير ما ذكره الشيخ شلتوت منها ذكر أن الإنسـان خلق لهدف وأنشأه الله لحكمه . . وأوجده لغاية ، واستخلفه في الأرض لرسالة . .

ومـرد ذلك لأمرين : الأمر الأول أن هذا الإنسان خلق الله الذي أحسن كل شئ خلقه ، وصنعة الله الذي أتقن كل شئ صنعه وأفعال الله عامة ذات هدف يليق بجلال الله وكماله فكل صنعه دليل صانعها . . وكل حادثه عنوان محدثها.

---

[1] سورة ق، الآية ٤.

[2] سورة ق، الآية ١٦.

[3] الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، ص ١٥٨، ١٥٩.

فلا بد إذن أن يكون خلق هذا الإنسان لهدف كبير وغاية عظمى وخاصة انه قد خلق في أحسن تقويم وسواه الله وعدله على أرقى ما يكون الخلق والإبداع والتعديل في عالم المخلوقات.

وما ينبغي أن يكون مصير الإنسان بعد ذلك كما يقول الأستاذ سيد قطب : " كمصير أية حشره أو دابة أو زاحفة حياة محدودة لا يتم فيها شئ كامل أبدا ثم ينتهي كل شئ إلى الأبد "[1].

الأمر الثاني : أن الله وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم كرمه سبحانه وفضله على كثير ممن خلق كما قال (ﷻ):﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[2].

ومن هذا التكريم وذاك التفضيل أن الله اسجد له الملائكة واستخلفه في الأرض واستعمره فيها.. وسخر له عوالم اكبر منه ، سخر له السماوات والأرض وما فيهن من شمس وقمر ونجوم وهواء وماء وحيوان وجماد ونبات . . لقد أحاطت به نعم الله من كل نواحيه فهو يغدو ويروح وينام ويقوم ويتقلب في نعم الله . . حتى الملائكة المكرمون يحوطونه ويحرسونه ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ ﴾[3]، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[4].

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، ص ١٣.

[2] سورة الإسراء، الآية ٧٠.

[3] سورة الانفطار، الآية ١٠، ١١.

[4] سورة الرعد، الآية ١١.

كـل هذه وغيرها نعم لا تحصى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْـرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَـيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَـتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[2]،﴿ أَلَمْ تَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾[4].

فهـل الإنسان الذي سخر الله له كل هذا وخلقه علي هذا المستوي من الخلق وكـرمه هذا التكريم .. وفضله هذا التفضيل .. وجعل كل هذه العوالم في خدمته ثم هو بعد ذلك يكفر نعمة ربه ؟ ويجحد فضل خالقه ؟ ويشكل عدوانا علي دينه وعباده ومخلوقاته أو هو يقر لله بكل ذلك ويحاول أن يرضيه بكل فعل أو قول أو فكر يهجع قليلا من الليل ليقوم بين يديه ، ويجهد في نفع عباده .. ونشر رحمته . وتمكين شرعه هل يمكن بعد كل ذلك أن ينتهي مصير مثل هذا المخلوق بهذه البسـاطة بعد موته إن ذلك لو كان لمثل شيئا لا يليق بخالقه .. ولبئس المخلوق هو لو كان الموت نهايته ولأجل ذلك قال الله تعالي:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَـثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾[5]،﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَلَمْ

---

[1] سورة إبراهيم، الآية ٣٢- ٣٤.

[2] سورة النحل، الآية ١٢.

[3] سورة لقمان، الآية ٢٠.

[4] سورة الجاثية، الآية ١٣.

[5] سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

يَـــكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾[1].

يقول الأستاذ سعيد حوي :

" إن الإنســـان الـــذي أعطي الوجود كله لا يعامل كما يعمل التراب وأمثاله فهـــو ســـيطالب بقدر ما أعطي ويحاسب وهذا منطق الوجود كله ، علي قدر ما تعطـــي تطالب ، فلن يترك الإنسان وقد أعطي ما أعطي مهملا ، بل سيحاسب علـــي كل صغيرة وكبير من قبل ربه (ﷻ)والله الذي خلقه من نطفة ثم طوره قادر علي أن يعيده مرة ثانية ليحاسبه "[2].

ومن الاستدلالات أيضا أن الله (ﷻ)أجري بالفعل أحداث واقعية فيها إحياء بعد موت أو بعد ثبات عميق امتد مئات السنين حتى لا يترك أدني شبهة أو إثارة من ريب في أمر هذا البعث

من ذلك ما ذكره الكتاب العزيز: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَـــرَى اللَّـــهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3]، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[4]، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِـــي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5]، ومن ذلك قصة الفتية

---

[1] سورة القيامة، الآية ٣٦ – ٤٠.

[2] الإسلام، ج٤، ص ٦٤.

[3] سورة البقرة، الآية ٥٥، ٥٦.

[4] سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

[5] سورة البقرة، الآية ٧٢.

مـن أهـل الكهف: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾[1].

وكـذلك: ﴿ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[2]، وقول إبراهيم: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[3]، ونوم الإنسان الذي يشبه الموت حتى قيل فيه أنه المـوتة الصـغرى ثم بعثه من نومه:﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4].

وبعد فإن تتبع حديث القرآن عن البعث سوف يأخذنا إلي آفاق بعيدة لن ينتهي الحديث فيها ولن يسعها وقت وجهد بالنسبة لهذه العجالة التي توجز الوقت فيها – غير أنه لا يفوتـنا ذكر إشارة خفيفة وسريعة نختم بها حديثنا عن هذه القضية الكبيرة وهي أنه توجد آيات كثيرة في الكتاب العزيز تتحدث عن البعث لا تتناول لـونا مـن ألوان الاستدلال وإنما هو استعراض لبعض مشاهد القيامة وما يلقي الـناس فسه وموقفهم منه وكأن القيامة بالفعل حاضرة والناس في مواقف الجزاء .. في جنات النعيم أو في سواء الجحيم ..

مـن ذلك قوله تعالي: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْـنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[5]، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَـاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ

---

[1] سورة الكهف، الآية ٢١.

[2] سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

[3] سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

[4] سورة الأنعام، الآية ٦٠.

[5] سورة الأنعام، الآية ٢٢، ٢٤.

رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[1].

وهكذا يحول البيان المعجز الآخرة التي لم تأت بعد كأنها الحاضر الذي يعيشه الإنسان ويصبح الحاضر الذي يعيشه بالفعل كأنه ماضي سحيق تفصله عن الإنسان آماد وأبعاد:﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[2].

والشيخ شلتوت يري" أن هذا وصف عيني لمظاهر البعث يأخذ بالقلب ويثير الوجدان "[3](١٤٠)

ويعتبره الأستاذ محمد قطب طريقة أخري لمواجهة المكذبين بالبعث تتجاوز أذهان المكذبين فلا تدخل معها في جدل وإنما تستهدف تأثيرا وجدانيا .. يقول : " أنهم منكرون للبعث أصلا لا تصدقه عقولهم ولا نفوسهم ولكن القرآن هنا لا يجادلهم ليثبت لهم بالمنطق حقيقة البعث ، وإنما يلجأ إلي التأثير عليهم من جانب آخر وجداني علي الأكثر _ وهو عرض صورهم عليهم في نار جهنم لتنفعل وجداناتهم – بصرف النظر عن أذهانهم- فتقتنع اقتناعا وجدانيا بحقيقة البعث "[4].

والذي أراه أنه قد يكون هذا الاستنتاج صحيحا ، غير أنه أولي أن ينظر الباحث إلي النص من زاوية أخري يلاحظ فيها المتكلم من جهة والمخاطبين من جهة ثانية أما الجهة التي يلاحظ فيها المتكلم فعليه أن يضع في اعتباره أن المتكلم هو الحق (ﷻ)ولهذا وجب أن يري في كلامه صفاته العليا وأسماءه الحسني وأن يعي جيدا أن الكلام صورة قائله .. والحديث مرآة صاحبه .. وإذا

---

(1) سورة الأنعام، الآية ٢٧ – ٣٠.

(2) دراسات قرآنية، ص ٨١.

(3) تفسير القرآن الكريم، ص ٣٨٤.

(4) دراسات قرآنية، ص ٧٣،

كان من صفته سبحانه أنه الجبار المتكبر الكبير المتعال لزم أن يعكس كلامه شئ من هذه الصفات .

وإذا كـــان الله يخاطب البشر علي المستوي الذي خلقهم عليه فان علي البشر أيضا أن يشربوا من حلال حديثه إليهم صفات جلاله وكماله .. وعزته وكبريائه وليس مما يليق بصاحب الكبرياء والعظمة والجلال والكمال أنه كلما تحدث عن شـــئ أكده بقسم أو زيله بدليل ، أو ألحق به أي نوع من أنواع التوكيد .. كلا بل إن العكـــس هـــو الصحيح فيكفي أن يكون هذا الخبر صادرا عنه حتى تقتنع به العقول وتطمئن به القلوب وتستروح به الأرواح ويسجد له الكيان كله لأنه صادر من الحق الأعلى . ونابع من النور الأسمى ومن أصدق من الله قيلا ومن أحدث من الله حديثا أنه سبحانه ليس في حاجة إلي أن يؤكد أو يدلل فكون الحديث منه وصادرا عنه يكفيه ذلك دليلا وتأكيدا بل ذلك آكد المؤكدات وأدل الأدلة جميعا .

ويكفـــي فقط من أجل إبطال كيد الشيطان أو تلبيس إبليس أو دحض دعاوى المكذبين وكل ختار كفور .. ومن أجل التنويه بموضوع الكلام وأن القضية ذات بال .. يكفي أن تتضمن القضية شيئا من التأكيدات وبعض من الأدلة يتحقق بها الهدف وتشفي من في قلبه مرض .

ومن لم يؤمن بما سبق معه الدليل – وما أكثره – فلن تحوله الأدلة بعد ذلك إلي مؤمن قط ، فلقد كان القرآن العظيم أكبر آيات الله .. وأبلغ معجزات الرسل ومـــع ذلـــك كان الكفار يطلبون معجزات أخري غيره فكان رد القرآن:﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ** ﴾ [1]، إن من لم يكفه القرآن فلن تكفـــيه كـــل معجزات الأنبياء لو جمعت لهم لأن التكذيب ليس بسبب عدم الدليل وإنمـــا هو العناد والاستكبار والجحود قال تعالي:﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [2]، ولقـــد اقترح المكذبون على الرسول آيات معيـــنة ذكـــرت فـــي قوله: ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْـــبُوعًا**﴾ إلي أن قالوا: ﴿ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ**

---

[1] سورة العنكبوت، الآية ٥١.

[2] سورة الإسراء، الآية ٩.

عَلَيْـــنَا كِتَاباً نَقْرَأُه﴾ [1]، فكان من رد الله عليهم: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّـــمَاءِ فَظَلُّـــوا فِـــيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْـــحُورُونَ ﴾ [2]، ومعني ذلك أن الله لو فتح لهم بابا من السماء فرفعهم إليها ولـــيس الرســـول هو الذي عرج به لكذبوا ما هم فيه وقال " سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون " .

لـــذلك أقول لا يجب أبدا أن تحمل كل قضية معها دليلا وتأكيدا وقسما . فإن الحـــق دلـــيل نفسه وهو برهان صدقه .. وعلي الناس أن يذوقوا استكبار الحق واســـتعلاء الحقـــيقة .. كما ينبغي لهم أيضا أن يدركوا أن من اللائق بجناب الله الاعـــتداد بعظمة الحق والحقيقة وأن من الواجب علي عباد الله أن يتحولوا إلي أذن صاغية وبصيرة واعية وسريره خاشعة إذا ما كان المتكلم رب العالمين لأنه مالـــك الدنيا ومالك يوم الدين نواصي العباد بيده .. وملكوت السماوات والأرض في قبضته .

إن مـــن ينزع دائما إلى الاستدلال والقسم والأيمان كأنه يستشعر عدم صدقه أو يظـــن الـــريبة فـــي خبره .. أما الحق (عز وجل) فحاشاه ثم حاشاه .. انه يقول ويقضـــى ويحكـــم وعلـــى الناس أن يأخذوا ذلك بما ينبغي له من جلال وكمال وكبرياء واستعلاء إذا قال فقوله الحق ولا مبدل لكلماته ، وإذا حكم فحكمه للعدر ولا معقـــب لحكمه ، وإذا قضي فقضاؤه المبرم ولا راد لقضائه . بل علي الناس إذا سمعوا منه أن يكونوا كما ينبغي لعباد الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ [3].

وأمـــا الجهـــة التي يلاحظ فيها المخاطبين فانه معلوم أن الله (عز وجل) يخاطب الـــناس جمـــيعا بـــل انه يخاطب الإنس والجن معا .. ومن المعلوم ضرورة أن الجمـــيع ليســـوا علي درجة سواء ولا مستوي واحد وليسوا جميعا علي عقيدة

---

[1] سورة الإسراء، الآية ٦٣.

[2] سورة الحجر، الآية ١٤.

[3] سورة الإسراء، الآية ١٠٧- ١٠٩.

واحدة وفكر مشترك .. بل أصحاب العقيدة الواحدة ليسوا علي مستوي واحد في الإيمان أو العقل والفكر .

لكـل ذلك وغيره لم يكن لزاما أن يكون الحديث إلي الجميع بلغة واحدة بل الأدعي أن يتغير الأسلوب بتغير المخاطبين فإن كان بعضهم يحتاج إلي تأكيد فان البعض الآخر لا يحتاج .. وإذا كان بعضهم يأخذ الحديث مأخذا عقليا فان غيرهم يميل إلي حديث الوجدان والعاطفة وإذا نظر البعض إلي الكلام فان نظر غيرهم إلي المتكلم .

وإذا كـان البعض يستمع إلي القرآن ثم يخرج منه وكأنه لم يسمع شيئا كما قال تعالي: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ﴾[1]. فـان من الناس كما يقول الإمام الغزالي من كان " يري في الكـلام المتكلم، وفي الكلمات الصفات .. فهو مقصور الهم علي المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره "

يقـول جعفـر الصـادق (رضي الله عنه) " والله لقد تجلي الله (عز وجل) لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون "[2](١٤٨) .

ومن كان علي هذا المستوي لا يلتفت إلي نوع توكيد أو التماس دليل والبحث عن برهان .. لأنه يتلقاه بعين قلبه ونور بصيرته .. ورقة مشاعر .. يتلقاه بالهام وجدانه .. وشفافية روحه .. ورفاهة إحساسه ..أنه يود أن يصل إلي قرب قريب ومقام كريم .. يعرف فيه نفسه .. ويري ربه حتى إذا تجلي له الله بعز الربوبية حقـق أو تحقق بذل العبودية .

والحمد لله رب العالمين

---

[1] سورة محمد، الآية ١٦.

[2] إحياء علوم الدين، ج٣، ص ٥٢.